

**تاریخ الاستلام: 2023/09/06**



~~ابتسام بولمدايس~~<sup>1</sup>

**ibtissem.boulmedais@univ-annaba.org**

جامعة باجي مختار-عناية /الجزائر

~~وفاء صبحی~~<sup>2</sup>

**wafa\_sobhi@yahoo.fr**

جامعة باجي مختار-عناية/الجزائر

 Ibtissem Boulmedais<sup>1</sup>

ibtissem.boulmedais@univ-annaba.org  
Badij Mokhtar University-Annaba /Algeria

~~Wafa Sobhi~~<sup>2</sup>

wafa\_sobhi@yahoo.fr  
Badij Mokhtar University-Annaba /Algeria

122

## ملخص البحث

إن مهنة التدريس تختلف عن أي مهنة أخرى، فهي عملية حياتية هامة، ونظرا لهذه الأهمية فإنها "تحتاج إلى إعدادات جيدة تتوافر فيمن يقوم بها، فهي ليست مجرد أداء آلي يمارسه أي فرد أو كل فرد حسبما توافرت لديه قدرة تعينه، أو بقدر ما عنده من علم ولكنها مهنة لها أصولها وعلم له مقوماته، وفن له مواهبه، فضلا على أنها عملية تعليمية تربوية تقوم على أسس وقواعد ونظريات.

تهدف هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على الخطاب الدينيّ المعاصر، من خلال مقارنة تداوليّة تعنى أساسا بالبحث في مختلف أشكال الإشاريّات -الشخصيّة، الزمانيّة، المكانيّة- الموظّفة في نماذج مختارة من خطب عبد الحميد كشك، بغية الكشف عن أبعادها التّداوليّة، ومرجعيتها الخطابيّة التي تحيل إليها، مع الوقوف على دورها الفاعل في تبليغ مقاصد الخطيب، وإقناع مخاطبيه.

كلمات مفتاحية: الخطاب الدينيّ المعاصر، تداوليّة، إشاريّات، عبد الحميد كشك،

## ABSTRACT:

Foreign policy is one of the ideological steps that any intelligent country can take. US foreign policy is an amazing strategy that is fruitful in making international relations ; keep peace in all nations and provide prosperity in all the area. It has different department and This study aims to highlight contemporary religious speech, through a pragmatic approach that is mainly focused on looking for the various forms of deixis -personal, temporal and spatial- employed in the selected models of the speeches of Abdul Hamid Kishk, in order to reveal their pragmatic dimensions, and their rhetorical reference to which they refer. Identifying their active role in delivering the speaker's intentions and purposes, and persuading his listeners.

Keywords: Contemporary religious speech, Pragmatic, Deixis, Abdul Hamid Kishk.

## 1. مقدمة:

ليست الإشاريّات مبحثاً مستحدثاً ولا مستجدّاً دخيلاً على حقل الدّراسات اللّغويّة، إذ تناوله النّحاة في مصنفات كثيرة، وانشغلوا بالتّقعيد له، وبيان خصائصه الصّرفيّة والتركيبيّة والدّلاليّة، وتناوله الفلاسفة أيضاً في مؤلفاتهم المتعلّقة بقضية الدّلالة وإحالتها المرجعيّة، كما انشغل به اللّسانيون بحثاً وتنقيباً في محاولة لسبر أغواره والكشف عن مختلف أبعاده، حيث تضافرت جهودهم اللّسانية الرّامية لتعميق الفهم بالقضايا التّداوليّة التي يثيرها مفهوم الإشاريّات، علماً أنّ البداية للأولى للتّداوليّة ارتبطت بهذا المبحث حين أشار شارل موريس إلى العلاقة بين العلامات ومستعملها، معتبراً أنّ مجال التّداوليّة لا يعدوا عن العناية بضمائر الكلام، وظروف الزّمان والمكان، ومختلف التّعبير التي تستقي مرجعيّتها من مقامات التّواصل<sup>1</sup>.

وتحاول هذه الدّراسة التّداوليّة رصد مختلف أشكال الإشاريّات الموظّفة في نماذج مختارة من خطب عبد الحميد كشك<sup>2</sup>، وذلك بهدف الإجابة عن إشكال أساسيّ متمثّل في: فيم تتجلى الأبعاد التّداوليّة للإشاريّات في الخطاب الدينيّ المعاصر عند عبد الحميد كشك؟ وكيف ساهمت هذه الإشاريّات في تبليغ مقاصد الخطيب وإقناع متلقّيه؟

وللإجابة عن هذا الإشكال الرّئيس اقتضت الدّراسة تناول ثلاثة مباحث تطبيقيّة، تصدّرتها مقدمة، ومدخل نظريّ تعرّض إلى المجال المفاهيميّ لمصطلحات الدّراسة، في حين اختصّ المبحث الأول برصد أمثلة عن الإشاريّات الشّخصيّة ومقاصدها التّداوليّة في نماذج مختارة من خطب عبد الحميد كشك، أمّا المبحث الثّاني فتضمّن أمثلة عن الإشاريّات الزمانيّة الموظّفة فيها، ليتطرّق المبحث الأخير إلى بعض الإشاريّات المكانيّة التي احتوتها هذه الخطب، تلتّه خاتمة لخصّت أهمّ النّتائج المتوصّلة إليها.

## 2. مصطلحات الدّراسة ومفاهيمها

يدور فحوى هذه الدّراسة حول البحث في موضوع الإشاريّات، ومرجعيتها التّداوليّة في الخطاب الدينيّ المعاصر عند عبد الحميد كشك، ويضمّ المدخل النظريّ منها المجال المفاهيميّ لمصطلحاتها الأساسيّة، والمتمثّلة في:

## 1.2 الخطاب الدينيّ

يندرج خطاب عبد الحميد كشك ضمن الخطاب الدينيّ الإسلاميّ المعاصر، والذي يقصد به: "الرّسالة الدّعويّة الدّينيّة البشريّة التي يوجهها المسلمون باسم دينهم إلى مختلف فئات البشر المسلمين أو غير المسلمين، مستندين في منطلقاتهم إلى المرجعيّة الدّينية الإسلاميّة، التي أساسها القرآن، والسّنة

النّبويّة المطهرة، وقد يكون صادرا عن فرد، أو مجموعة أفراد، أو مؤسسة عامة، أو دينيّة متخصصة<sup>3</sup>، ولا ينفكّ هذا التعريف الخاص عن مفهوم الخطاب الدينيّ عموما غير أنّه يضفي الصبغة الإسلاميّة التي تميّزه عن باقي الخطابات الدينيّة الأخرى، والمتمثلة في خصوصيّة مصادره المتجليّة في القرآن الكريم، والسنة النبويّة المحمديّة؛ القوليّة، والعمليّة، والتّقريريّة، وكذا مجمل فهم علماء الإسلام، وفتاوى فقهاء المستندة عليهما -أي الكتاب والسنة-.

ومما تجدر الإشارة إليه أنّ الخطاب الدينيّ المقصود في هذه الدّراسة لا يمثّل نصوص الوحي من القرآن، والسنة، وإنّما هو خطاب الإسلاميين في التّعبير عن الرّسالة التي يوجهونها إلى الآخرين في شأن من الشّؤون<sup>4</sup>، وانطلاقا من هذا يمكن حصر الخطاب الدينيّ الإسلاميّ في نوعين من الخطابات:

أ- خطاب ديني، إلهي، ونّبوي، مُمثّل في خطابي القرآن، والسنة، وهما خطابان دينيان، توقيفيان، متواتران، منزّهان عن كل عيب، ونقص، وقدح، منحصران في جملة نصوص كلام الله تعالى الموجود بين دفتيّ المصحف الشريف، وما ورد من سنة النّبّي محمد صلى الله عليه وسلم؛ من قول، وفعل، وتقرير، والمنقولة إلينا جمعا عن جمع يستحيل تواطؤهم على الكذب، والمجموعة في كتب الصّحاح والمساند وغيرها.

ب- خطاب بشريّ، اجتهاديّ، مُمثّل في اجتهادات رجال الدّين وفهومهم، إذ يُعدّ خطابا يستند لروح تعاليم الدّين الإسلاميّ، المراعية لمقاصد الكليّات الخمسة الكبرى (الدّين، النّفس، العقل، النّسب، والمال)، والمستوحاة أحكامه وآراءه من كتاب الله أولا، وسنة نبيّه ثانيا، واجتهادات رجال الدّين وفهومهم ثالثا، بما يحقق مصلحة الفرد والمجتمع، وهو خطاب إنسانيّ ضروريّ تتطلّبه عالميّة الرّسالة الإسلاميّة، وروح العصر، وضروريّات التّجديد، ومتطلّبات الحياة المعيشيّة، وهو خطاب قد يعتريه النّقص والعيب - أحيانا- كونه صادرا عن اجتهاد بشريّ، فرديّ، أو جماعيّ، وهو محلّ هذه الدّراسة.

## 2.2 الإشارات (المفهوم، الخصائص، والأنواع)

تندرج الإشارات بحسب الباحث الهولنديّ هنسون ضمن مباحث تداوليّة الدّرجة الأولى، والتي تبحث في رموز التّعبيرات المهمة ضمن ظروف استعمالها، وهي تداوليّة تعتمد السّياق الوجوديّ؛ المتمثّل في المخاطبين، ومعطيات الزّمان والمكان<sup>5</sup>.

وتعدّ الإشارات مفهوما لسانيا تداوليا يجمع كلّ العناصر اللّغويّة التي تحيل مباشرة على المقام، من حيث وجود الدّات المتكلّمة، أو الزّمن، أو المكان، حيث ينجز الملفوظ والذي يرتبط به معناه، ومن أمثلتها: الآن، هنا، هناك، أنا، أنت، هذه، وغيرها<sup>6</sup>، وتعرّف بأنّها تلك "العلامات اللّغويّة التي لا يتحدّد مرجعها إلّا في سياق الخطاب التّداوليّ لأنّها خالية من أي معنى في ذاتها؛ فبالرّغم من ارتباطها بمرجع، إلّا أنّ هذا المرجع غير ثابت"<sup>7</sup>، فالإشارات أدوات إجرائيّة لا دلالة لها في ذاتها، إنّما تتحدّد إحالتها ومرجعها

بالعودة إلى سياق تلفظها، ومناسبة استعمالها. وتتصف الإشارات التداولية بمجموعة خصائص ومميزات، نسردها كالآتي<sup>8</sup>:

- إنَّ للإشارات طابعا اصطلاحيا تواضعا، شأنها شأن علامات اللسان الأخرى، فمثلا ضمير المتكلم "أنا" يظل مجردا، مبهما، ما لم تقترن إحالته بسياق معلوم لدى المتخاطبين، وكذلك الحال مع "الآن" و"هنا".  
- تتميز الإشارات بكونها عاجزة عن الدلالة إلا إذا كانت على صلة بموضوع تمثله، سواء كان هذا الموضوع واقعيا أم خياليا.

- تحمل الإشارات طابعا كونيا فهي حاضرة في كل اللغات بما فيها تلك التي تضرر بعضها، ولذلك اعتبرت من الكليات اللغوية.

- تلعب الإشارات دورا حيويا في تحقيق فاعلية التواصل، وهي فاعلية مرتبطة بدورها في الإحالة إلى موضوعات ذات مرجعية معلومة بالنسبة لأطراف التواصل، والمرجعيات كما هو معلوم، تمثل عصب الخطاب والضامن لحسن تبليغه.

وتنقسم الإشارات التداولية إلى ثلاثة أقسام رئيسية، وهي:

أ- الإشارات الشخصية: وأوضح العناصر الإشارية الدالة على الشخص هي ضمائر الحاضر، والمقصود بها الضمائر الشخصية الدالة على المتكلم وحده "أنا"، أو المتكلم ومعه غيره "نحن"، والضمائر الدالة على المخاطب مفردا، أو مثنى، أو جمعا مذكرا، أو مؤنثا، وضمائر الحاضر هي دائما عناصر إشارية لأنَّ مرجعها يعتمد اعتمادا تاما على السياق الذي تستخدم فيه، وليس من شك في أنَّ الضمير "أنا" و"أنت" ونحوهما له دلالة في ذاته على المتكلم أو المخاطب، ولكن السياق لازم لمعرفة من المتكلم أو المخاطب الذي يحيل إليه الضمير "أنا" و"أنت"، وأمَّا ضمير الغائب فيدخل في الإشارات إذا كان حرا، أي لا يعرف مرجعه من السياق اللغوي، فإذا عرف مرجعه من السياق اللغوي خرج من الإشارات<sup>9</sup>.

ب- الإشارات الزمانية: وهي كلمات تدلّ على زمان يحدده السياق بالقياس إلى زمان المتكلم، فزمان المتكلم هو مركز الإشارة الزمانية في الكلام، فإذا لم يعرف زمان المتكلم أو مركز الإشارة الزمانية التبس على السامع أو القارئ<sup>10</sup>، فقولك مثلا "بعد شهر" تختلف دلالتها ومرجعيتها باختلاف زمان إنتاجها والنطق بها.

ج- الإشارات المكانية: فهي "عناصر إشارية تدلّ على أماكن يعتمد استعمالها، وتفسيرها على مكان المتكلم وقت التكلّم، أو على مكان آخر معروف للمخاطب أو السامع، ويكون لتحديد المكان أثره في اختيار العناصر التي تشير إليه قربا، أو بعدا، أو وجهة، فيستحيل على الناطقين باللغة أن يستعملوا أو يفسروا كلمات مثل هنا وهناك، إلا إذا وقفوا على ما تشير إليه بالقياس إلى مركز الإشارة المكانية<sup>11</sup>.

### 3. الإشارات ومرجعيتها التداولية في الخطاب الديني المعاصر عند عبد الحميد كشك

يرتكز التحليل التداولي في هذا البحث على رصد مختلف أشكال الإشارات الموظفة في نماذج مختارة من خطب عبد الحميد كشك، والمقيّدة في الجزء الثالث كتابه "هنا مدرسة محمد صلى الله عليه وسلم".

### 1.3 الإشارات الشخصية:

من المؤشرات الدالة على الشخص في خطب عبد الحميد كشك الدينية ما يلي:

- ضمير المفرد المتكلم أنا: في قول عبد الحميد كشك من خطبة "في مملكة سبأ": "إنني أردّ بهذه الحقائق على الذين ينكرون خالق الكون، إنني أردّ في هذا المقام على الذين يرفعون رؤوسهم متبجّحين بجحود الواحد"<sup>12</sup>. حيث وظّف الخطيب ضمير المتكلم المفرد (إنني)، بدل ضمير جمع المتكلم (نحن)، لا من باب الأنا والتعالّي، ولكن لشدة حرصه على إظهار غيرته الدينية وبيان مرجعيته العقائدية وطبيعته هويته الإسلامية، وذلك بالتصدي والوقوف في وجه من يدعون التّحضّر، والمدنيّة، والعقلانيّة، وفي كل من تسوّل له نفسه التّطاول على وحدانيّة الله وربوبيّته، عارضاً في الوقت ذاته الحجج، والاثباتات، والحقائق الدامغة التي تُدحض أباطيلهم، وتُفسد شهرتهم، وتُستنكر أفعالهم المخالفة للحقائق الكونية والعلمية، وما توظيفه لهذا المؤشّر الشخصي - ضمير المتكلم المفرد أنا- إلّا لاحتوائه على مقاصد تداولية متمثلة في رفع راية التّحدّي من جهة، وفي تعجيز المخالفين وإقامة الحجّة عليهم من جهة ثانية، ومحاولة بناء جدار مانع يحول بين تلك الشّهات ومجموع المخاطبين ثالثاً.

- ضمير المخاطب المفرد المذكر "أنت": ومن ذلك قول عبد الحميد كشك في خطبة "سفينة النّجاة": "يا أخي... أترضى أن يسير أحد الشّباب مع أختك، وإذا سألته: لماذا تمشي معها؟ قال لك: لأنني أحبّها، ماذا يكون شعورك وأنّ شاباً تأبط ذراع شقيقتك، وأخذ يدور بها في ظلمات الليل؟ ماذا يكون شعورك يا فتى؟ إذا كنت لا ترضاه لأختك كيف ترضاه للناس؟ ما هذا؟ ما هذا الحضيض الذي وصلنا إليه؟"<sup>13</sup>، وقد جاء ضمير المخاطب المفرد المذكر مستترا في قوله: (أترضى)، وكافاً متّصلة في قوله: (أختك/ لك/ شقيقتك/ شعورك)، وتاء متّصلة في قوله: (سألت/ كنت)؛ حيث وجّه عبد الحميد كشك خطابه إلى المتلقّي مباشرة، وذلك بغية لفت انتباهه لطبيعة المسألة المعروضة وأهميّتها، وإشراكه في دائرته التّواصلية، وتحسيسه بمخاطر آثارها على الأسرة والمجتمع.

ولقد استهلّ الخطيب -في المثال السّابق- حديثه بنداء المخاطب (يا أخي...)، والتّداء إشارة شخصيّة، وضميمة إسميّة تشير إلى مخاطب لتنبهه، أو توجيهه أو استدعائه، وهي ليست مدمجة فيما يتلوها من كلام، بل تنفصل عنه بتنغيم يميّزها، وظاهر أنّ التّداء لا يفهم إلّا إذا اتضح المرجع الذي يشير إليه<sup>14</sup>، فقول عبد الحميد كشك (يا أخي) مهمّ لا تتّضح إحالته دون الرجوع إلى السّياق التّداوليّ للخطبة، ولقد ألحق الخطيب هذا التّداء العائد على كلّ مسلم تجمعه به رابطة الأخوة في الإسلام بمثال تصويريّ وتحسينيّ حيّ، يبيّن حجم فظاعة المشهد اللاأخلاقيّ الذي يأباه كلّ رجل شريف يتحلّى بالمروءة

والغيرة على أهله وشرفه، محدّراً في الوقت ذاته من مآلات الاعتداء على أعراض الغير، وسوء عاقبته على الأسر والمجتمعات، ليعكس هذا النداء بعداً تداولياً تحذيرياً، وغرضاً تأنيبياً رادعاً، لمن سوّلت له نفسه التّفريط في عرضه، والاستهانة به، أو التّفكير في انتهاك أعراض الغير.

-ضمير المخاطب للجمع "أنتم": في خطبة "صيدلية الحبيب المصطفى"، والتي يقول فيها عبد الحميد كشك: "إخواني وأبنائي الطلبة قبل أن تناموا ليلة الامتحان، ناموا مبكراً... ثم قوموا مبكرين من النوم وصلّوا الفجر حاضراً، وافتحوا الكتاب الذي ستمتحنون فيه، ومروا به مرّ السّحاب، أو مرّ الكرام، ثم بعد ذلك، اسألوا والديكم الدّعاء لكم، اسألوا الآباء والأمّهات، فإنّ الجنة تحت أقدام الأمّهات، وتوجّهوا إلى الامتحان وأنتم مرفوعي الرّأس"<sup>15</sup>، حيث أكثر الخطيب في هذا المثال من استعمال ضمير جمع المخاطب (أنتم)، إذ جاء "واؤاً" متّصلة بالأفعال الأمرية:

(ناموا/اقرأوا/قوموا/صلّوا/افتحوا/مروا/اسألوا/توجّهوا)، و"كافاً" متّصلة في: (والديكم/لكم)، وضميراً ظاهراً في قوله: (وأنتم مرفوعي الرّأس)، ليحمل هذا الضمير الشّخصيّ العائد على متلقّي الخطبة عامة، والمتعلّمين المقبلين على اجتياز الامتحانات في مصر خاصة، مقصداً تربوياً تأديبياً، وبعداً تحفيزياً متمثلاً في حثّهم على طلب العلم والإكثار منه، مع توجيههم الوجهة الصّائبة، وتلقينهم الكيفيّة الصّحيحة للتعامل قبل وأثناء يوم الامتحان، مع تذكيرهم بضرورة التّزود بصالح الدّعوات، ووافر البركات، ممّن جعلهم الله سبباً في التّخليق والولادة.

-ضمير الغائب للجمع "هم": في قول عبد الحميد كشك من خطبة (مملكة سبأ): "هكذا كانوا، هكذا عاشوا، هكذا ماتوا، عاشوا أعزّاء وماتوا شرفاء، وأعلنوها في سمع الزّمان"<sup>16</sup>، حيث رغّب الخطيب متلقّيه بالحرص على الاقتداء بنموذج من البشر وهم -بالرجوع إلى سياق الخطبة التداولي- الصّحابة الكرام الذين لبّوا نداء الله، وحملوا رسالة الإسلام، ورفعوا راية التّوحيد والإيمان، وناصروا النّبّي صلى الله عليه وسلم، ودافعوا عنه بالنّفس والنّفيس، وماتوا وهم على نهجه صلى الله عليه وسلم، ولا يخفى ما تضمّنه ضمير الغائب الجمع من أبعاد تداوليّة متمثّلة في الدّفع بالمتلقّين إلى اتّخاذ أحباب رسول الله، وصحابته الأبرار، قدوات حسنة، وأسوات هادية، ومعالم كاشفة، في سيرهم الحثيث نحو الظّفر برضى الله تعالى ورضوانه.

### 2.3 الإشارات الزمانية:

ومن المؤشّرات الدّالة على الزّمان في خطب كشك الدينيّة، قوله في خطبة "السّجود لله وحده": "لو كانت هناك امرأة حامل وزلزلت بها الأرض إيدانا بقيام السّاعة لطرحت ما في بطنها من هول السّاعة، لأسقطت ما في بطنها من هول السّاعة"<sup>17</sup>، حيث كرّر الخطيب المؤشّر الزّمانيّ (السّاعة) ثلاث مرات على سبيل التّوكيد اللفظي، وبالعودة إلى سياق هذه الخطبة الدينيّة الإسلاميّة يتّضح رجوعه على ساعة

الحساب القيامة ، ليؤدّي هذا المؤشّر بعدًا تداوليًا تخويفيًا قصّده الخطيب وأصرّ عليه، ما يدفع بالمتلقين إلى ضرورة استغلال كل ثانية من أعمارهم، وعدم التراخي والتّمادي في دروب الغفلة، والمسارة إلى الأوبة قبل فوات الأوان، فلتلك السّاعة خطب عظيم، وهول شديد فظيع.

ومن أمثلة ذلك أيضا ما ورد في خطبة "جدّد السّفينة فإنّ البحر عميق": "يا ربّ لا تدع لنا في هذا اليوم العظيم ذنبا إلّا غفرته، ولا كربا إلّا فرجته، ولا عيبا إلّا سترته، ولا دينًا إلّا أديته، ولا مريضًا إلّا شفّيته، ولا ميتًا إلّا رحمته"<sup>18</sup>، حيث صدرّ عبد الحميد كشك خطبته بالدّعاء، مُسترشِدًا بهدي الرّسول صلى الله عليه وسلم في ذلك، موظّفًا المؤشّر الزّمنيّ "اليوم" دون الإفصاح، والتّصريح بحقيقته، ومرجعِيّته، وما يمثّله في عرف الإسلام والمسلمين، ومن خلال السّياق التّدالويّ الذي أُلقيت فيه هذه الخطبة يتّضح أنّ هذا المؤشّر يعود على يوم الجمعة، والمعروف أنّه يوم عيد أسبوعيّ للمسلمين، وملتقى جامع لهم رجالا ونساء، شبيبة وشبابا وأطفالا؛ إذ فيه ساعة مخصوصة تُستجاب فيها الدّعوات وتنزل البركات، ليحمل هذا المؤشّر بعدًا تداوليًا دينيًا متمثّلًا في بيان فضل هذا اليوم وخصوصيّة ورمزيّته؛ ما يدفع بالمتلقين إلى تعظيمه، وتقديسه، وحضور مواسم خيراته وبركاته، ومن ثمّ حسن استغلاله في الطّاعات والعبادات، والتّقرب إلى الله فيه بالدّعاء، والباقيات الصّالحات، ومختلف أعمال البرّ والقربات.

ومن أمثلة ذلك قول عبد الحميد كشك في خطبة "صيدليّة الحبيب المصطفى": "إنّ المقادير العليا عندما وزّعت علينا بطاقة المواليد، واستلمناها من السّجل الإلهي؛ نرى مكتوبا في كل بطاقة منها: الخانة الأولى: ولد يوم كذا، والخانة الثّانية: سيموت يوم كذا، فالكلمتان مكتوبتان في ورقة واحدة"<sup>19</sup>، حيث وظّف الخطيب في هذا المثلّ المؤشّر الزّمنيّ (اليوم) مرتين، وقد قرّنه بميعاد الولادة وأجل الموت، لبيّن مقصدا تداوليًا متمثّلًا في التّأثير في المتلقين، وتذكيرهم بقصر هذه الحياة الدّنيا، وسرعة حضور الأجل، وكذا حثّهم على بذل الوسّع، والإكثار من فعل الخيرات، فما هما إلّا يومان وتنتهي رحلة العمر، وينقلب الفريقان بين شقيّ وسعيد.

ومن ذلك أيضا قول عبد الحميد كشك في خطبة "مدرسة أيوب عليه السّلام": "أيوب ظلّ مريضًا ثمانية عشر عاما لا يقوى على القيام من الأرض وكأنّ بينه وبين الأرض مغناطيسيّة شديدة الجذب، ثمانية عشر عاما يا أيوب وأنت مريض"<sup>20</sup>، حيث كرّر الخطيب في هذا المثلّ المؤشّر الزّمنيّ: (ثمانية عشر عاما) مرتين، لبيان طول مدّة وحجم معاناة نبي الله أيوب، ومدى جلده، وقوّة صبره على المصيبة التي ألمّت به، وأحاطت به من كلّ جانب؛ إذ ظلّ طريح الفراش غير قادر على مبارحة مكانه؛ ليحمل هذا المؤشّر بعدًا تداوليًا تربويًا متمثّلًا في حثّ المتلقين على الصّبر عند البلاء، وإن طال أو اشتدّ، والافتداء بنبي الله أيوب عليه السّلام، واتخاذه مثالا حسنا يحتذى به في احتمال الشدائد، ومواجهة المكاره.

### 3.3 الإشارات المكانية:

ومن المؤشرات الدالة على المكان في خطب كشك الدينية قوله في خطبة "الاستغفار": "أنا بيت الغربية، أنا بيت الوحشة، أنا بيت الدود، أنا بيت التراب، يا ابن آدم لا تتكبر على ظهري لأنني غدا سأضّمك في بطني"<sup>21</sup>، حيث احتوى هذا النص مجموعة من المؤشرات المكانية التي يعود مرجعها على القبر، وهي: (بيت الغربية/ بيت الوحشة/ بيت الدود/ بيت التراب/ على ظهري/ في بطني)، والتي تؤدي مقصداً تداولياً متمثلاً في تخويف المتلقين من القبر وظلمته، وتحذيرهم من مغبة الاستمرار في الغفلة، والدفع بهم إلى العمل الصالح، وحثهم على الاستدراك قبل حضور الموت وانقطاع العمل، وأكثر من ذلك عمد الخطيب إلى وصف مكان ومآل هذا الموت -القبر- وما يكتنفه من غربة، ووحشة، وضيق، وهول، مستدعيًا مشاهد مادية ومعنوية، تُسهّم في ترقيق القلوب وتليينها، فحين يكتنفها الخوف، وتغزوها الخشية، تسارع إلى التوبة، وتبادر إلى إنقاذ ما تستطيع إنقاذه قبل حضور الأجل.

ومن ذلك أيضاً قول الخطيب في خطبة "إمام الجهاد وإمام كلمة الحق أحمد بن حنبل" في حديثه عن سيرته المجيدة: "إمام بلغ من الكبر مبلغاً بعيداً سن كبيرة، وجسم ناضج يجلد وبعد أن يفوق من الجلد أول سؤال يسأله عن الصلاة. هل أذن للعصر؟ فما بالتنا نسمع المنادي ينادي ونحن جالسون على نواصي المقاهي، ونحن جالسون على قوارع الطرقات ونواصي المقاهي لا نجيب منادي الله"<sup>22</sup>، حيث حمل الخطيب المؤشرات المكانية (نواصي المقاهي، قوارع الطرقات) مقصداً تداولياً تأنيبياً وتوبيخياً؛ فالخطيب يعاتب، ويلوم، ويؤتّب ضمائر المتفرّغين، والجالسين على مداخل المقاهي، ومخارج الطرقات، دون الاستجابة لنداء الله، ويحثهم على الإسراع إلى تأدية فريضة الصلاة بدل التّماذي في الغفلة، والاشتغال باللّهو واللّعب، وما حديثه عن الإمام ابن حنبل حين كان يجلد حتى يغشى عليه، وكلّما استفاق من غيبوبته سأل عن وقت الصلاة: هل حان أم هل مضى؟ إلّا لبيان عظمة هذه العبادة -أي الصلاة- وضرورة تأديتها في وقتها أولاً، وحثّ المخاطبين على ضرورة الاقتداء به -أي بالإمام أحمد ابن حنبل-، وبسير العلماء والصالحين من سلف هذه الأمة العظيمة ثانياً.

ومن ذلك أيضاً قول الخطيب عبد الحميد كشك في خطبة "سفينة النّجاة": "نحن اليوم على موعد مع الغار، وما أدراك ما الغار؟ ... غار في أعلى الجبل ولكن... عندما أتكلّم عن الغار يحضرني الحنين، وتشدني الذكريات إلى جبال، دخلت الإسلام من أوسع أبواب الإسلام... عندما أتكلّم عن الغار فإنّ تداعي المعاني يشدني شداً، وكأنّه مغناطيس شديد الجذب يرجع بي القهقري عبر القرون الخاليات"<sup>23</sup>، حيث تعمّد الخطيب في هذا المثال تكرار المؤشّر المكانيّ "الغار" خمس مرات، ليؤكد على عظمة هذا المكان في تاريخ الإسلام، كونه معلماً له دوره البارز في حفظ الدين، وبلوغه، وانتشاره، وبالعودة إلى السياق الدينيّ فالغار المقصود هو غار ثور، وهو المكان الذي اختبأ فيه الرّسول صلى الله عليه وسلم، وصاحبه أبو بكر رضي الله عنه أثناء هجرتهما من مكّة إلى المدينة المنورة فراراً بدينهم

وعقيدتهم، ومكثا فيه هروبا من بطش قريش وانتقامها؛ ليساهم هذا المؤشّر المكانيّ في تبليغ مقصديّة الخطيب، والمتمثّلة في حثّ المتلقّين على تعظيم الأماكن المقدسة التي خصّها الله واختارها دون غيرها.

ومن أمثلة ذلك أيضا قول الخطيب عبد الحميد كشك في خطبة "صيدليّة المصطفى عليه الصّلاة والسّلام" في حديثه عن البطل العالميّ الأمريكيّ "كلاي": "أسلم هذا البطل عندما قرأ العدالة الاجتماعيّة في الإسلام، إنّه يعيش في أمريكا، صاحبة الحضارة والمدنيّة، ولكنه وجد تفرقة بين البيض والسود، أتلّك هي الحضارة؟ أتلّك هي المدنيّة؟ أهذا هو التّطور؟ وهذا هو الرّقي؟"<sup>24</sup>. حيث يعكس المؤشّر المكانيّ (أمريكا) في هذا النّص الحضارة والمدنيّة الغربيّة التي ما ذُكرت إلّا واقتربت بالتّقدم والرّقي، ليبيّن جانبها المظلم الذي يغفل عنه الغافلون، ويتعمّد في إخفائه المغرضون؛ فبالرّغم مما تتميز به من مظاهر التّطور في شتّى الميادين إلّا أنّها بلد عنصريّ بامتياز يفرّق بين البشر على أساس اللون، والعرق، وغيرها، مبرزاً على سبيل المقابلة والتّمايز عدالة الإسلام الاجتماعيّة، وعدم مفاضلته بين النّاس إلّا بالتّقوى، وحسن الخلق، والنّفع والأثر، ليحمل هذا المؤشّر المكانيّ بعدا تداوليّاً مفاده حمل المتلقّين على عدم الانخداع بهذه الحضارة الغربيّة المزيّفة، والمدنيّة المصطنعة، وضرورة التّمسك بمبادئ الإسلام، وعقيدته القويمة.

ومن ذلك أيضا قول عبد الحميد كشك في ذات الخطبة: "كنا فيما مضى نسمع الدّين يأتون إلى القاهرة؛ يقولون: إنّنا ذاهبون إلى بلد الأزهر، ولكن لما انحلت العُرى، وانفصمت القِيَم، وأخذ الفساد يستشري؛ فهذه خمر، وهذا ربا، وذلك عريّ، وهذا انحلال تغيّرت النّظرة فأصبح القادمون من الخارج، إلى مصر يقولون: إنّنا ذاهبون إلى باريس الشّرق، تحولت النّظرة من أزهر إلى باريس"<sup>25</sup>.

استخدم الخطيب في هذا النّص مجموعة من المؤشّرات المكانية التي تعكس هوان وتغيّر حال بلاد مصر - والأمة العربيّة عموماً- من الأحسن إلى الأسوأ، من بلد الأزهر الشّريف إلى باريس الشّرق، والمؤشّر المكانيّ "بلد الأزهر" يدلّ على مصر العتيقة العتيقة، بلد الدّين القويم، والعلم الصّحيح، والأئمة الأعلام الملّزمين بتعاليم الدّين وحلّل الأخلاق، أمّا المؤشّر المكانيّ "باريس الشّرق" فيشير إلى الانحلال الأخلاقيّ الذي عصّف بعاصمة المعزّ، والانسلاخ المريع عن الهويّة العربيّة المسلمة، والتّحرر من ربقة الأخلاق الفاضلة، والتّخلي عن العادات والأعراف الحميدة التي ميّزت مصر عبر محطّات التّاريخ الإنسانيّ، لتظهر هذه المؤشّرات المكانية بجلاء مقصديّة الخطيب المتمثّلة في حثّ المتلقّين على الرّجوع إلى أصولهم الأولى، والمحافظة على دينهم الحنيف، والاستمسك بعروته الوثقى، مع الابتعاد الكليّ عن مظاهر الفساد والانحلال.

#### 4. خاتمة:

وفي الختام يمكن القول بأنّ الخطيب عبد الحميد كشك قد نجح -وبدرجة كبيرة- في استدعاء الإشاريّات بمختلف أشكالها -الشّخصيّة، الزمانيّة، المكانية-، وبما تضمنته من حمولات دلاليّة،

وجرعات إقناعية ساهمت في تشكيل بنية خطابه الديني المعاصر، وتبليغ مقاصده، والتأثير في مخاطبيه إ فراغا وإملاء.

## 5. الهوامش:

- <sup>1</sup> ينظر: التداولية - أصولها واتجاهاتها-، جواد ختام، (2016)، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان، ط1، ص 75، 76.
- <sup>2</sup> هو عبد الحميد عبد العزيز محمد كشك، ولد في العاشر من مارس سنة 1933 في بلدة شبراخيت، إحدى مراكز محافظة البحيرة بجمهورية مصر العربية، في أسرة مكونة من الوالدين وستة من الأولاد، حفظ القرآن الكريم في بلدته وهو دون العاشرة من عمره، ليلتحق بمعهد الإسكندرية الديني، ثم تحول إلى المعهد الأزهرى بالقاهرة إلى أن تخرج من القسم الثانوي، وكان ترتيبه الأول بنسبة 99%، ثم التحق بكلية أصول الدين، وبها أتم دراسته، وكان أيضاً من الأوائل، وتم تكريمه على مستوى الجمهورية، ليعين بوزارة الأوقاف إماماً وخطيباً، سجن أكثر من مرة لأجل مواقف السياسية، ومنذ خروجه من السجن في آخر مرة سنة 1982م لم يصح له بالعودة إلى مسجده ومنبره، وظل كذلك إلى أن توفاه الله في الخامس والعشرين من رجب 1417هـ، الموافق 6 ديسمبر 1996م، وهو ساجد رحمه الله". ينظر: قصة أيامي -مذكرات الشيخ عبد الحميد كشك-، عبد الحميد كشك، (1986)، المختار الإسلامي للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة، ص 8، 7.
- <sup>3</sup> واقع الخطاب الديني وأطروحات تجديده، عبد السلام محمد السعدي، فلاح خلف كاظم الزهرى، (2019)، مجلة أبحاث العلوم السياسية الدولية، العدد 39-40، العراق، ص 501.
- <sup>4</sup> الخطاب الديني في الفضائيات العربية -دراسة في سوسيولوجيا التأثير على الشباب الأردني-، محمد عبد الله مكازي الجريبيع، (2009)، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، عمان، ص 21.
- <sup>5</sup> ينظر: في اللسانيات التداولية -مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم-، خليفة بوجادي، (2009)، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر، ص 79.
- <sup>6</sup> ينظر: نسيج النص، الأهر الزناد، (1993)، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، ص 116.
- <sup>7</sup> استراتيجيات الخطاب -مقاربة لغوية تداولية-، عبد الهادي بن ظافر الشهري، (2014)، دار الكتاب الجديد، ليبيا، ط1، ص 80.
- <sup>8</sup> ينظر: التداولية -أصولها واتجاهاتها-، جواد ختام، مرجع سابق، ص 76، 77.
- <sup>9</sup> ينظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، محمود أحمد نحلة، (2006)، دار المعرفة الجديدة، مصر، ص 18.
- <sup>10</sup> المرجع نفسه، ص 19.
- <sup>11</sup> المرجع نفسه، ص 21.
- <sup>12</sup> مدرسة محمد صلى الله عليه وسلم -الخطب المنبرية-، عبد الحميد كشك، أعدده للنشر: محمد محمد عبد المقصود، (1987)، مكتبة الصحافة العباسية، القاهرة، الجزء الثالث، ط1، ص 46.
- <sup>13</sup> المرجع نفسه، ص 92.
- <sup>14</sup> آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، محمود أحمد نحلة، ص 19.
- <sup>15</sup> مدرسة محمد صلى الله عليه وسلم -الخطب المنبرية-، عبد الحميد كشك، مرجع سابق ص 125.
- <sup>16</sup> المرجع نفسه، ص 44.
- <sup>17</sup> المرجع نفسه، ص 74.
- <sup>18</sup> المرجع نفسه، ص 157.
- <sup>19</sup> المرجع نفسه، ص 112.
- <sup>20</sup> المرجع نفسه، ص 21.
- <sup>21</sup> المرجع نفسه، ص 97.
- <sup>22</sup> المرجع نفسه، ص 132، 133.
- <sup>23</sup> المرجع نفسه، ص 80.
- <sup>24</sup> المرجع نفسه، ص 120.
- <sup>25</sup> المرجع نفسه، ص 121.

## 6. قائمة المراجع:

- استراتيجيات الخطاب -مقاربة لغويّة تداوليّة-، عبد الهاديّ بن ظافر الشّهري، (2014)، دار الكتاب الجديد، ليبيا، ط1.
- آفاق جديدة في البحث اللّغوي المعاصر، محمود أحمد نحلة، (2006)، دار المعرفة الجديدة، مصر.
- جواد ختّام، التّداوليّة -أصولها واتّجاهاتها-، (2016)، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمّان، ط1.
- في اللّسانيّات التّداوليّة -مع محاولة تأصيليّة في الدرس العربي القديم-، خليفة بوجادي، (2009)، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر.
- قصة أيامي -مذكرات الشّيخ عبد الحميد كشك-، عبد الحميد كشك، (1986)، المختار الإسلامي للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة.
- نسيح النص، الأزهر الزّناد، (1993)، المركز الثّقافي العربي، بيروت، ط01.
- الأطروحات:
- الخطاب الديني في الفضائيات العربية -دراسة في سوسيولوجيا التأثير على الشّباب الأردني-، محمد عبد الله مكازي الجريب، (2009)، كليّة الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، عمان.
- واقع الخطاب الديني وأطروحات تجديده، عبد السلام محمّد السّعدّي، فلاح خلف كاظم الزّهري، (2019)، مجلّة أبحاث العلوم السّياسيّة الدّوليّة، العدد 39-40، العراق.
- نبذة عن حياة الشّيخ عبد الحميد كشك رحمه الله (2001)، موقع إسلام ويب:
- <https://www.islamweb.net/ar/fatwa/7423> (2023-7-28).